**البنا الذى يتبعه نصف مليون**

**تأليف روبير جاكسون**

**زرت هذا الأسبوع رجلا قد يصبح من أبرز الرجال في التاريخ المعاصر ، وقد يختفي اسمه إذا كانت الحوادث أكبر منه ذلك هو الشيخ حسن البنا زعيم الإخوان ) .**

 **هذا ما كتبته منذ خمس سنوات ، وقد صدقتني الأحداث فيما ذهبت إليه ، فقد ذهب الرجل مبكراً .. وكان أمل الشرق في صراعه مع المستعمر ، وأنا أفهم يطمح إلي مصلح يضم صفوفه ويرد له كيانه ، غير أنه في اليوم الذي بات فيه مثل هذا الأمل قاب قوسين أو أدني انتهت حياة الرجل علي وضع غير مألوف .. وبطريقة شاذة ..**

 **هكذا الشرق لا يستطيع أن يحتفظ طويلا بالكنز الذي يقع في يده . لقد لفت هذا الرجل نظري بصورته الفذة عندما كنت أزور القاهرة بعد أن التقيت بطائفة من الزعماء المصريين ورؤساء الأحزاب . خلاب المظهر . دقيق العبارة . بالرغم من أنه لا يعرف لغة أجنبية . لقد حاول أتباعه الذين كانوا يترجمون بيني وبينه أن يصوروا لي أهداف هذه الدعوة وأفاضوا في الحديث علي صورة لم تقنعني ، وظل الرجل صامتا . حتى إذا بدت له الحيرة في وجهي قال لهم قولوا له : هل قرأت عن محمد ؟ قلت : نعم . قال : هل عرفت ما دعا إليه وصنعه ؟ قلت : نعم . قال هذا هو ما نريده . وكان في هذه الكلمات القليلة ما أغناني عن الكثير . لفت نظري إلي هذا الرجل سمته البسيط ، ومظهر العادي وثقته التي لا حد لها بنفسه ، وإيمانه العجيب بفكرته . كنت أتوقع أن يجيء اليوم الذي يسيطر فيه هذا الرجل علي الزعامة الشعبية لا في مصر وحدها ، بل في الشرق كله .**

 **وسافرت من مصر بعد أن حصلت علي تقارير وافية عن الرجل وتاريخه ، وأهدافه وحياته ، وقارنت بينه وبين محمد عبده وجمال الأفغاني ، والمهدي والسنوسي ، ومحمد بن عبد الوهاب . فوصل بي البحث إلي أنه قد أفاد من تجارب هؤلاء جميعا وتفادي ما وقعوا فيه من أخطاء . ومن أمثلة ذلك أنه جمع بين وسيلتين متعارضتين جري علي إحداهما الأفغاني وارتضي الأخرى محمد عبده . كان الأفغاني يري الإصلاح عن طريق الحكم ، ويراه محمد عبده عن طريق التربية .. وقد استطاع حسن البنا أن يدمج الوسيلتين ، ووصل إلي ما لم يصلا إليه ، لقد جمع صفوة المثقفين من الطبقات والثقافات المختلفة إلي مذهب موحد وهدف موحد .**

 **ثم أخذت أتتبع خطواته بعد أن عدت إلي أمريكا وأنا مشغول به ، حتى أثير حوله غبار الشبهات حينا مما انتهي إلي اعتقال أنصاره .. وهي مرحلة كان من الضروري أن يمر بها أتباعه ثم استشهاده قبل أن يتم رسالته . وبالرغم من أنني كنت اسمع في القاهرة أن الرجل لم يعمل شيئا حتى الآن وإنه لم يزد علي جمع مجموعات ضخمة من الشباب حوله ، غير أن حركة فلسطين ومعركة التحرير في القناة قد أثبتتا بوضوح أن الرجل صنع بطولات خارقة .. قل أن تجد مثلها إلا في تاريخ العهد الأول للدعوة الإسلامية . . كل ما أستطيع أن أقوله أن الرجل أفلت من غوائل المرأة والمال والجاه وهي المغريات التي سلطها المستعمر علي المجاهدين ، وقد فشلت كل المحاولات التي بذلت في سبيل إغرائه .. وقد أعانه علي ذلك صوفيته الصادقة وزهده الطبيعي . لقد تزوج مبكرا وعاش فقيرا وجعل جاهه في ثقة أولئك الذين التقوا حوله ، ومضي حياته القصيرة العريضة مجانبا لميادين الشهرة الكاذبة ، وأسباب الترف الرخيص .**

 **وكان يترقب الأحداث في صبر ويلقاها في هدوء ، ويتعرض لها في اطمئنان ويواجهها في جرأة . لقد شاءت الأقدار أن يرتبط تاريخ ولادته وتاريخ وفاته بحادثين من أضخم الأحداث في الشرق فقد ولد عام 1906 وهو عام دنشواي . ومات عام 1949 ، وهو عام إسرائيل التي قامت شكليا سنة 1948 وواقعيا سنة 1949 . وكان الرجل عجيبا في معاملة خصومه ، ولا يصارعهم بقدر ما يحاول إقناعهم وكسبهم إلي صفه ، وكان يري أن الصراع بين هيئتين لا يأتي بالنتائج المرجوة . وكان يؤمن بالخصومة الفكرية ولا يحولها إلي خصومة شخصية ولكنه مع ذلك لم يسلم من إيذاء معاصريه ومنافسيه ، فقد أعلنت عليه الأحزاب حربا عنيفة .. الرجل يقتفي خطوات عمر وعلي ويصارع في مثل بيئة الحسين فمات مثلهم شهيدا .**

 **لقد سمعت الكثير من خصومه ، وكان هذا طبيعيا بل كان من الضروري أن يختلف الناس في رجل استطاع أن يجمع حوله هذا الحشد الضخم من الناس بسحر حديثه وجمال منطقه ، وقد انصرف هؤلاء من حول الأحزاب ، والجماعات والفرق الصوفية والمقاهي ودور اللهو . وكان لابد أن يصبح هذا مثار حقد بعض الناس الذين أدهشهم أن يستطيع هذا الرجل المتجرد الفقير أن يجمع إليه مثل هذا الشباب . ومن الأمور التي لفتت نظري أنه أخذ من عمر خصلة من أبرز خصاله ، تلك هي إبعاد الأهل عن مغانم الدعوة ، فقد ظل عبد الرحمن ومحمد عبد الباسط ، وهم إخوته ، بعيدين عن كبريات المناصب ، ولطالما كان يحاسبهم ، كما كان عمر يحاسب أهله ويضاعف لهم العقوبة إذا قصروا . وقد أتيح لي أن ألتقي بوالده الوقور ، الشيخ عبد الرحمن البنا ، وسمعته يتحدث مع بعض الإخوان ، إنه كان يتمني لو أن ابنه وضع الكتب في أمر الإسلام واكتفي بذلك ، وقد رد عليه الأستاذ بأنه منشرح الصدر لمعالجة الإسلام عن طريق تآلف الرجال**